

الشخصيات الرئيسية ومدلولاتها في قصص "النمور في اليوم العاشر" المنتخبة

د. شاد حسين

الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

محمد أشرف مير

باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية،
جامعة كشمير، سرينغر

مقدمة

إن الشخصية أحرزت أهمية رئيسية في الأجناس السردية في العصر الحديث، لا شك أنها ظلت من أهم مكونات فن القصة منذ أقدم العصور، غير أن التيارات الفكرية والفنية الحديثة مثل التيار الرومانسي والوجودي أرغمت الكتاب أن يهتموا بالفرد اهتماماً بالغاً حتى تمكن لهم من أن يطبقوا آراءهم وأفكارهم في هذا المضمار، كانت الشخصية القصصية تعد عنصراً ثانوياً بنسبة للعناصر الأخرى للعمل الفني من منظور المحاكات الأرسطية دون أي دلالات اللفظية أو المعنوية الأخرى في العصر القديم، فأصبحت معقدة في العصر الحديث تحمل دلالات السياسية والنفسية.^[1] والشخصية القصصية صياغة لغوية للكاتب الذي صنعه لغاية التمثيل للقضايا المختلفة في المجتمع الإنساني،^[2] وأما الشخصيات في أعمال زكريا تامر البدائية (الأعمال قبل الهجرة) فتمثل معاناة الناس ومشاكلهم باللغة التصويرية والإيجاز والأسلوب الشعري حتى يسمي تامر بشاعر القصة القصيرة،^[3] توجد شخصية البطل فيها مغترباً دائماً بسبب البيئة الخائفة الناجمة عن الحكم الأرسطراطي، فيبحث عن مواقع الحرية الذاتية وضروريات الحياة الأساسية والملذات الجسدية. وشخصية المرأة في هذه الأعمال تظهر ضمن دورها الثانوي وتدعم البطل الرئيسي في بحثه عن

[1] الدوش، صلاح أحمد. "الشخصية القصصية بين الماهية وتقنيات الإبداع". مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مجلد ٧، عدد ٢٠، (٢٠١٢) ص. ١٢٣ (ص ١٤٠-١٢١).

[2] الصمادري، إمتنان عثمان. "زكريا تامر والقصة القصيرة". الطبعة الأولى، وزارة الثقافة عمان، الأردن، ١٩٩٥، ص ١٣٢.

[3] صبري حافظ. "Pioneers of Modernism and the Retreat to the Inner". في مصطفى محمد البدوي. "Modern Arabic Literature". نيويورك، مطبعة جامعة كيمبرج، ١٩٩٢، ص ٣٣٢

حوائج الحياة الأساسية. إن هذه المقالة تهدف إلى تحليل الشخصيات الرئيسية في إحدى المجموعات لزكريا تامر القصصية الشهيرة، وهي "النمور في اليوم العاشر"^[١] المصدرة في ١٩٧٨ م، مهتما بإبراز موقعها ووظيفتها في القصص والأهداف الأساسية التي يريد الكاتب أن يحققها.

تحليل القصص المنتخبة

إن "النمور في اليوم العاشر" مجموعة قصصية شهيرة ضمن أعمال زكريا تامر البدائية، قام فيها الكاتب بمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية التي يواجهها الناس ليس على المستوى المحلي فقط بل على الصعيد العالمي أيضا، وفيما يلي بعض القصص التي انتخبها للتمثيل عن قصصه الأخرى في المجموعة .

قصة "الثأر"^[٢] الشخصيات الرئيسية فيها "الأولاد"، الذين يلعبون فيها لعبة جديدة، حيث بدأوا يمثلون فيها شخصيات المجتمع مثل، مليونير والمخترع والطرزان ومخترع الطائرات. فهجم الأولاد على من يمثل مخترع الطائرات وبدأوا يركلونه ويلكمونه وهو يصرخ مستغيثاً؛ كما ورد في القصة: "فانقض الأولاد على مخترع الطائرات، وراحوا يصفعونه ويلكمونه ويركلونه بينما كان يصرخ معولا مستغيثاً"(تامر ٧). إن لشخصيات هذه القصة الدلالة السياسية التي تشير إلى اوضاع المجتمع المتدهورة الناتجة عن التوتر السياسي. تمثل الطائرة عند الكاتب علامة الحرب ويحدث على لسان الأطفال عن مسألة خطيرة جدا، كما تمثل الأعداء الذين ينزلون القنابل على مباني الشعب العربي. وتمثل ملاكمة الأطفال الغيظ عند الشعب العربي السوري الذي حاول الكاتب إبرازه بطريقة تمثيلية، وتمثل شخصية الأولاد أيضاً الجيل الجديد الذي سئمت من سياسة البلد ووضعها الحربي وسوف يقوم بمقاومة ضد النظام السياسي الفاشل داخل البلد كما أنه يقاوم العدو خارج البلد .

[١] مجموعة القصص لزكريا تامر. بيروت، دار الآداب، ١٩٧٨.

[٢] تامر زكريا. "الثأر". النمور في اليوم العاشر". بيروت، دار الآداب ١٩٧٨ ص ٧.

قصة "الجريمة":^[١] لا توجد شخصية البطل ملفوظة في هذه القصة فالكاتب يستعمل فيها ضمير المتكلم (أنا)، فهي الشخصية المجهولة التي تمثل فيها هموم الفرد والمجتمع، ويزعم بعض النقاد أن هموم الفرد عند زكريا تامر ذاتية جداً^[٢]، ويعكس الكاتب فيها الصراع بين الطبقة المتوسطة والطبقة ذات السلطة. وحينما طلب البطل من أصحاب المصنع الإضافة في الأجرة الشهرية فلم يوافقوه وإنما رفضوا رفضاً تاماً، وحاولوا إقناعه أن مطالبته هذه سيدعم العدو بطريقة غير مباشر، لأن الأجرة المضافة ستقلص التسهيلات لأصحاب السلطة فلا يتمكن لهم من مقاومة العدو لو هاجم على البلد، كما يقول: "وطالبتُ بعد أشهر قليلة بزيادة أجري ... فلو كنتَ قد حصلت على زيادة أجري، فلسوف ينقض مال الدولة (أجابه أصحاب المصنع)" (تامر ١٢). امتازت هذه القصة بالشخصية العمومية،^[٣] لا نعلم اسمها ولا نعرف شيئاً عن نشأتها وزمنها وظهرت في العمل دون مقدمات سابقة .

قصة "أصفاد الموتى":^[٤] سقط البطل المجهول فيها فريسة للحرمان عندما أبت حبيبته الزواج منه، لأنها لا تجد عنده مكانا وافرا حتى ((لدفن موتى أهله))، كما يقول في الموضوع. "قالت المرأة: "أنا أحبك ولكنك من أسرة لا تدفن الموتى من أجدادها، فكيف تريد مني أن أحيي معك في بيت غرفة مليئة بالجثث؟" (تامر ١٤). تمثل شخصية البطل في هذه القصة قضايا اجتماعية وسياسية كما تمثل وضع البلاد العربية المتدهور الناجم عن الكارثات والنكبات المتكررة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وتسعى البطل إلى الخروج من ضيق الحياة إلى سعتها وهي تحس في أعماقها القلق والاضطرابات العاطفية.^[٥]

[١] تامر زكريا. "الجريمة". النمرور... ١٩٧٨، ص ١٢

[٢] امتنان عثمان الصمادي. "زكريا تامر والقصة القصيرة" عمان (الأردن) وزارة الثقافة ١٩٩٥، ص ١٣٦.

[٣] المرجع نفسه. ص ١٣٢.

[٤] تامر زكريا. "أصفاد الموتى". النمرور... ١٩٧٨، ص ١٤.

[٥] نقشبندي، خالد. "زكريا تامر والأزمة الجنسيّة". دار الآداب (ص ٥٨-٤٨) ص ٤٩.

قصة "الوصية"^[١] فحاول الكاتب فيها تمثيل القضايا الاجتماعية التي تواجهها طبقة الشيوخ ويمثلهم الرجل الهرم الذي تعرض للمعاناة الاجتماعية طوال حياته. ووصى أبنائه وأحفاده، لحظة احتضاره، أن ينغمسوا في السيئات وأن يقوموا بالفساد في حياتهم لأنه يرى أن يموت دون أن يترك لهم ما ينفعهم، كما ورد في القصة: "وقال لهم بصوت خفيض مرتعش أسف: "سأمت دون أن أترك لكم ما ينفعكم ... الحياة يا أولادي وأحفادي غريبة، فافعلوا كل ما هو سيء مشين، عيشوا فسادا في الأرض. لا تقولوا الصدق ... أكذبوا، تملقوا الاثرياء وذوي المناصب" (تامر ١٧). توجد هنا المفارقة فيما عليه أن يقول في لحظات أخيرة وما ذا يقول فعلا .

قصة "يوسف.. يوسف الصغير الجميل الهالك"^[٢] قام الكاتب فيها بتمثيل وجهة النظر للأطفال ووظف فيها شخصية الأطفال الثلاثة، وهم سليم ومحمد وعدنان الذين يمثلون الطبقات الثلاث من المجتمع مثل الطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة والطبقة من صفوة المجتمع على الترتيب، وهناك الاقتباس من القصة: وضحك عدنان فجأة، وقال لمحمد وهو يشير إلى سليم: "أنظر، أنظر إلى قميصه". - "ما به؟" - "مهترئ ووسخ". فوجم محمد، ثم بادر إلى خلع ثيابه بحركات سريعة، فبدا قميصه الداخلي مرقعا باهت اللون (تامر ٢٦). لقي هؤلاء الثلاث عند بيت عدنان ولعبوا وسرقوا الفواكه في أحد البساتين وأخيرا ذهبوا الى النهر حيث حمل محمد وسليم صديقهما عدنان على النزول في النهر رغم مقاومته فغرق وهما ينظران اليه واجمين. أصبح عدنان ضحية لشراسة سليم وصديقه محمد، وهناك الاقتباس الآخر: "وفجأة قذف عدنان بجسده إلى النهر، وراح يضرب الماء بيده ورجليه بحركات جنونية، ثم صاح بدعر: " أني أغرق" فظل محمد وسليم يراقبانه وهما متجمدان في مكانهما بينما كان عدنان يغوص تارة ويطفو تارة أخرى" (تامر ٢٨). إن هذه القصة تبدو متأثرة بقصة القران واتخذ الكاتب عنوانه وشخصياته من سورة يوسف، فإكراه

[١] تامر زكريا. "الوصية". النمر ... ١٩٧٨، ص ١٧.

[٢] تامر، زكريا. "يوسف... يوسف الصغير الجميل الهالك". النمر... ١٩٧٨، ص ٢٨-٢٠.

الولدان عدنانَ على النزول الى النهر الذي غرق فيه، مثل فعل أخوة يوسف به عندما ألقوه في البئر، ربما يصور الكاتب وضع المجتمع السوري الذي خلا افراده من عواطف الحنان والشفقة.

قصة " الفندق":^[١] الشخصية الرئيسية فيها إسماعيل أكرم الذي يشاهد الأحداث في الفندق مثل، صيحات المرأة التي جاء بها الرجال في الفندق وهي تصرخ مستغيثة، وفي مشهد آخر يشاهد الرجال يضربون شخصاً لاعتراف الجريمة المجهولة وغيرها، كما يشاهد المشاهدات الأخرى التي يريد الكاتب بها تصوير المدينة العربية الحديثة المبنية على أنقاض حقوق الإنسان، وصيحة المرأة تعكس العنف ضد المرأة واضطهادها في المجتمع الأبوي، وأما ضرب الرجال فيعبر عن سلب حرية الفرد، كما يقول الكاتب: "و تعالت ضجة انبثقت منها صيحات المرأة متقطعة مستغيثة ثم تلاشت رويدا رويدا، ولم يبق سوى اللهاث المحموم وانين المرأة"، وكذلك يقول الكاتب في المشهد الآخر "و أغمض عينيه، (إسماعيل أكرم) ليسمع بعد قليل رجالا يقولون بأصوات متوعدة: "سنضربك حتى الموت"... قال الرجل متسائلا : "أي جريمة؟!" فتعالت صيحة أمرة من أكرم: "اضربوه" (تامر ٥٠). ومن المهم أن زكريا تامر متأثر بالنظرية السريالية فتوجد بعض انعكاسات تلك النظرية الكائنة على ربط الحلم بعالم اليقظة وتصوير المشاهد المرهبة في هذه القصة كما يظهر من الاقتباس التالي: "وأهوى بالفأس على جثة الرجل الميت وقطعها الى قطع صغيرة ثم حملها الى المرحاض، وترك المياه تتدفق بعنف ويحمل معها اللحم الممزق. وتزايد وهن أكرم، وقال لنفسه: " لم أفعل ما فعلت. أنا الآن نائم وما حدث مجرد حلم مزعج"(تامر ٥١).

قصة "النمور في اليوم العاشر":^[٢] هذه من روائع زكريا تامر. وفيها شخصيتان

[١] تامر، زكريا. " الفندق". النمور.... ١٩٧٨، ص ٥٣-٤٧

[٢] تامر، زكريا. "قصة النمور في اليوم العاشر". مجموعة النمور في اليوم العاشر، ١٩٧٨، ص ٥٨-٥٤

المحوريتان فهما: الرجل والأسد، وأتقن الرجل مهنة ترويض الحيوان فسجن الأسد وقام بمهمة ترويضه حتى جعله حيوانا مروضاً أليفاً، والأداة التي استعملها المروض هي "الجوع"، فأجبرت هذا الجوع الأسد على أن يغيّر طبيعته الفطرية، مثل، أن يأكل العشب وأن يقلد مواء القطط ونهيق الحمار، كما ورد في القصة: "قال النمر: "أنا جائع" فضحك المروض وقال لتلاميذه: "ها هو قد سقط في فخ لن ينجو منه"... لقد النمر مواء القطط" ... "قال المروض: "مند اليوم لن تأكل سوى الحشائش"، ولما اشتد جوع النمر، حاول أن يأكل الحشائش، فصدمه طعامها، وابتعد عنها مشمئزاً، ولكنه عاد إليها ثانية، وابتدأ يستسيغ طعامها رويداً رويداً" (تامر ٥٨-٥٤). يعرض النمر للتدريب القاسي لعشرة أيام متواصلاً، ثم اختفى المروض وتلاميذه، فأصبح القفص مدينة والنمر مواظبها في اليوم العاشر. إن في شخصية النمر والمروض دلالات سياسية فيمكن القول إن شخصية النمر تمثل الشعب العادي الذي يواجه سياسية الاستبداد على أيدي السلطة بينما يمثل المروض صاحب السلطة، أو يمكن تشريحها أن المروض يسعى أن يهدّب الناس ويحملهم على مواظبة الصمت والهدوء رغم أحوال قاسية حتى يتظاهر أن المدينة هي مدينه متحضرة يعيش الناس فيها مع امن وسلام، ودلالة أخرى لتوظيف "النمر" هي أن الوضع مليء بالأخطار. فإن النمر أشرس الحيوانات فلا الوفاء في ترويضه أو القبضه عليه لمدة طويلة، لأنه قوي قادر على أن يرجع إلى طبيعته الفطرية الأصلية في أي وقت، كما يقول زكريا تامر نفسه عن معنى اختياره النمر لهذه القصة: "النمر يا عزيزي هو الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يعود إلى طبيعته الحيوانية في اية لحظة مهما حاولت أن تدعى ترويضه أو استئناسه في السيرك ... لذلك فإن قصة النمر في اليوم العاشر تعني في المقام الأول أن الإنسان العربي سيعود إلى طبيعته الإنسانية الحقبة ليصلح الأوضاع العائلية، ودليل على ذلك ما يحدث في فلسطين الآن".^[١] يتضح فيما سبق أن النمر يمثل الشعب من حيث القوة

[١] الحوار مع زكريا تامر، موقع القصة السورية، جنيف، سويسرا: Retrieved online from: syrianstory.com/dialogues2.htm

والقدرة الشاملة، غير أنه لا يقاوم ولا يظهر قوته بل يخضع للحكم القاسي ويعذب كل يوم عمياً وبكماً وصمًا. وهناك شبه قريب بين زكريا تامر وجورج أورويل^[١] في تمثيلهما للشعب بحيوانات، فقام أورويل بتمثيل الشعب المضطهد المقهور بالفيل الذي سمّاه بـ "بكسر"^[٢] في روايته الشهيرة "مزرعة الحيوانات"^[٣] حيث يعرض "البكسر" للعنف والقهر من قبل حاكمه كما يعرض "النمر" للعنف والقهر من قبل مروضه في قصة تامر المذكورة اعلاه. وربما نستطيع أن نستنبط من هذه الشبه أن زكريا تامر استعمل ظاهرة التناص (Intertextuality)، وهذه الظاهرة تدل على أن زكريا تامر كان متأثراً بتيار الحداثة الذي كان سائداً بشكل عام في نصف الثاني من القرن العشرين في الآداب العالمية.

نتيجة البحث

- الشخصيات القصصية الموظفة والهدف المنشود منها فهو كما يلي:
- شخصية الأولاد في قصة "الثار"، حيث يمثلون الجيل العربي الجديد الذي هم بالثار بالعدو الغاصب.
 - شخصية البطل المجهول (أنا) في قصة "الجريمة"، الذي يمثل فيها الفرد العادي في المجتمع العربي وحاول الكاتب به إبراز الصراع بين الطبقة المتوسطة والطبقة ذات السلطة.
 - شخصية البطل المجهول في القصة "أصفاد الموتى"، أصبح البطل فيها فريسة للحرمان ولم ينجح أن يتزوج المرأة التي عشقها، فقام الكاتب فيها بإبراز سياسة البلد القمعية التي رفضت للفرد حقوقه وتسبب للبيئة الخائفة.
 - شخصية الهرم في القصة "الوصية"، تعرض الشخصية فيها للفقر والبطالة

[١] جارج أورويل (George Orwell 1903-1950)

[٢] بكسر. (Boxer). يوظف رمزية للطبقة الكادحة الروسية التي ساعدت في الإطاحة بالقيصر نيكولاس وتأسيس الاتحاد السوفيتي. ويوصف بأنه ساذج وقوي.

[٣] مزرعة الحيوانات. (Animal Farm). روايه شهيرة لجورج أورويل، طبعت أول مرة في ١٩٤٥ م.

والحرمان طوال حياتها، فلا يرى بأسا في توصية أولاده بفعل السيئات والانغماس في المكروهات.

- شخصية يوسف في قصة "يوسف، يوسف الصغير الجميل الهالك" الذي استمده الكاتب من القصص القرآنية وحاول فيها إبراز الصراع بين الطبقات المختلفة في المجتمع كما قام بإبراز فقد عواطف الشفقة والرحم في المجتمع.
- شخصية إسماعيل أكرم في قصة "الفندق"، الذي يمثل فيها الرجل العادي المثقف، وقام بها الكاتب بإبراز الظروف الاجتماعية السائدة في البلد، وتتميز هذه القصة بإظهار الأفكار السريالية التي تأثر بها الكاتب
- شخصيات النمرور والمروّض وتلاميذه في قصة "النمرور في اليوم العاشر"، فهي الشخصيات اللاتي تحملن الدلالات السياسية فتمثلن بصورة شاملة سياسة البلد القمعية، وتتضح من هذه القصة أن زكريا تامر يشبه جورج أورويل في تمثيل الشعب بطريقة رمزية.

أخيرا وليس بآخر إن الهدف الأساسي عند زكريا تامر في هذه المجموعة هو إبراز القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تواجه الناس على وجه العموم والشعب السوري على وجه الخصوص الذي أصبحت فريسة للعنف السياسي في القرن العشرين، فهذا الشعب يعاني مكوّناته المختلفة أشد المعاناة وأزعجها، وقد شاهد البلد من خلال هذه الفترة الاضطرابات السياسية المتكررة ولا يزال يشاهد.

* * *